

حكاية الثعلب والأسد

سأل (كليلا) صاحبه (دمنة):

— هل يمكن أن تروى لى حكاية عن الشخص القوى والشخص المماكر الذى استولى عليه ، وأصبح يحقق كل رغباته من خلاله ؟

أجاب دمنة :

— بكل سرور . يحكى أن أسداً قوياً جداً ومهيباً كان يسكن فى غابة لا تبعد كثيراً عن خط الاستواء ، وأن هذا الأسد كان يعيش فى بحبوبة من النعيم ، فزوجاته يخرجن للصيد ويعدن إليه بأشهى اللحوم ، وأشباله يأكلون ويشبعون ويقضون يومهم بين لعب ومناوشة حتى يكبرون ، وجيرانه من حيوانات الغابة الكبار لا تجرؤ أن تدخل إلى حماه إلا بإذن ، ولما تزوره إلا بميعاد سابق.. وكان إذا مشى تمايلت خطواته ، وانتفضت لبدته ، وإذا زأر اهتزت أركان الغابة خشية ورهبة .

وكان يعيش فى الجوار ثعلب صغير الحجم، ضعيف المبنية، لا يستطيع أن يصطاد سوى بعض الأرناب أو الفئران، وكان يلقي فى سبيل ذلك صعوبة شديدة، نظراً لسرعة هذه المخلوقات، واستشعارها المخطر قبل وقوعه. وفكر الثعلب فى حيلة توفّر له الطعام دون عناء، فانتهاز فرصة قابل فيها الأسد، وأظهر له فروض الطاعة والولاء، ورجاه أن يسمح له بزيارته من وقت لآخر لكى ينقل له أخبار الغابة، المظاهرة والمستترة، وعند الحاجة، يمكنه أن يسليه ببعض النوادر.

وجد الأسد فى هذا العرض مطلباً لا يكلفه شيئاً، بل إنه شكر للثعلب رغبته فى إظهار الولاء بهذا الشكل. ولأن الأسد كان يعانى بالفعل من بعض لحظات الكآبة، وتمر به ليال من الأرق لا يستطيع فيها النوم، فقد رحب بالفكرة، بل إنه أكد للثعلب أن يزوره يومياً، وليس على فترات.

فى اليوم الأول، ذهب الثعلب للأسد حاملاً له العديد من الأخبار المسلية، ومقدماتاً له فأراً صغيراً كهدية. وعندما اندهش الأسد من حجم الهدية، أسرع الثعلب قائلاً له:

— يا مولاي.. هذه بالنسبة لى أقصى ما يستطيع أن يقدمه ثعلب مثلى لمليك الغابة العظيم.

واستمر على تلك الحال عدة أيام، حتى اطمأن له الأسد، وفى إحدى الجلسات طلب منه ألبا يحضر هدايا من القنطران بعد الآن، فالطعام لديه متوافر، ولحومها ألبذ كثيرا من لحم فأر صغير!

بمرور الوقت أصبح الثعلب لبا يفارق الأسد. بل إنه خصص له مكاناً للمبيت بجوار عرينه مباشرة. إلى حد أن بعض زوجات الأسد أبدين بعض الامتناع من هذا الزائر المقيم، ولكنهن خشين من غضبة الأسد، فكنتمن شعورهن قائلات :

— المهم أن الأسد لم يتخذ علينا زوجة جديدة، وصار الثعلب يأكل كما يشاء من ولائم اللحوم المطازجة التى تقدم للأسد كل يوم، حتى أن بطنه امتلأ، وعاد الشعر الناعم يغطى جسده، كما انتفش زيله وأصبح فى مثل طول جسده.

كان الأسد يلقى للثعلب بهومومه، ولما يخفى عليه ما ينوى أن يقوم به فى اليوم التالى، وهكذا صار الثعلب على علم بكل ما يجرى فى عقل الأسد، وليس فقط بما يدور فى عرينه. بل إن بعض زوجات الأسد رحن يتوددن له لكى يتدخل لهن لدى الأسد حتى يحقق لهن بعض المطالب!

وذات يوم من أيام الشتاء خرج الثعلب يتمشى فى الغابة، وكانت الحيوانات الكبيرة قد عرضت بمكانته من الأسد، فلم تعد تتعرض له، بل إنها كانت تتحاشاه. وقد زاده ذلك فخراً وكبرياء. وفجأة التقى بأحد زملائه القدامى من الثعالب الضعيفة المتهالكة، فألقى عليه السلام، لكنه لم يرد، فعاتبه قائلاً :

— كيف تقابلنى بهذا الجفاء!؟

قال له :

— لأنك عديم الوفاء لبنى جنسك من الثعالب : انضردت وحدك بالغنيمة وتركتنا نموت من البرد والجوع واحتقار حيوانات الغابة لنا.

عندئذ تذكر ماضيه ، وطمأن الثعلب المسكين قائلاً له :

— من غد ، سوف أجعل الأسد يصدر فرماناً بإلحاقكم بالعريين ، وأن تنعموا بخيراته ، وألا يتعرض لكم أحد بسوء.. ومن يفعل ذلك مهما كانت قوته سوف يكون جزاؤه التنكيل والمقتل.

وهنا سأل الثعلب الضعيف :

— هل أنت واثق من قولك ؟

أجابه بتمكن :

— أجل أيها الغبى.. فقد تمكنت تماماً من عقل الأسد، وسيطرت على أفكاره ، وأصبحت أوجه مشاعره، إلى حد أنه لم يعد يقدم على افتراس حيوان آخر إلا بعد مشاورتى!

